المصطلح النقدي الغربي، وممارساته النقدية في الجزائر.

The Western critic term, and It's practices in Algeria.

د. ناصر بعداش [1]/ المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف- ميلة/ (الجزائر)/lettrearab@gmail.com

تاريخ الاستلام: 11 / 10/ 2022 تاريخ القبول: 19 / 12 / 2022 تاريخ النشر: 31 / 12 / 2023

ملخص:

تحاول هذه الورقة البحثية الوقوف عند محطات تتعلق بالمصطلح النقدي العربي بصفة عامة، والجزائري بصفة خاصة، مع الإشارة إلى إشكالاته المتعددة في الساحة الأدبية العربية، ذلك لوجود فوارق عديدة بين الوسائل التي يتناولها الناقد العربي مقابل نظيره الغربي، وقد يصطدم الباحث العربي على صعيد محطاته العلمية بإشكالية تخص المصطلح النقدي، ذلك لِتَفَلُّتِهِ وتعدده على الساحة النقدية، ولعل الإشكالية في ذلك تكمن في انتقاله من منطقة غير عربية؛ إليها، وفي رحلة الانتقال هذه تحدث تشوهات كبيرة تقف دون الوصول إلى تحديد مفهومه تحديدا دقيقا، مما يصعب مهمة الناقد العربي الذي تزدحم لديه المصطلحات وتتعدد، وهنا تصعب مهمة تطبيق المناهج الغربية الوافدة، وسنحاول في هذا البحث تتبع مسارات المصطلح ورحلة انتقاله من الغرب إلى العرب، ومحطات استقباله وإعادة إنتاجه من قبل الناقد العربي، وسنحاول التطرق إلى المناهج الغربية الوافدة، ومعالجة الكيفية الصحيحة التي يطبق بها الناقد العربي هذه المناهج واستخدام إجراءاتها التحليلية بالطريقة السليمة التي تسهل من عملية البحث، ومحاولة تطبيقها على النص الأدبي العربي، لتكون المشكلة والحال كذلك هي كيفية توظيف المناهج النقدية الغربية من حيث المفاهيم والأدوات الإجرائية في الساحة النقدية العربية والجزائرية.

الكلمات المفتاحية :الكلمات الأساسية للبحث : المصطلح، النقد، الغرب، العرب. الممارسة.

Abstract:

This research paper attempts to stand at stations related to the Arab critical term in general, and Algerian in particular, with reference to its multiple problems in the Arab literary arena, because there are many differences between the means dealt with by the Arab critic compared to his Western counterpart, and the Arab researcher may clash in terms of his scientific stations. With a problem related to the critic term, due to its looseness and plurality in the critic arena, and perhaps the problem with that lies in its transmission from a non-Arab region; To it, and in this journey of transition, great distortions occur that stand in the way of defining its concept precisely, which makes it difficult for the Arab critic, who has many and crowded terminologies.

Here, the task of applying the incoming Western approaches becomes difficult, and in this research, we will try to trace the paths of the term and its journey from the West to the Arabs, and the stations of its reception and reproduction by the Arab critic. The analytical method in the right way that facilitates the research process, and an attempt to apply it to the Arabic literary

text, so that the problem and the situation as well as how to employ Western critical approaches in terms of concepts and procedural tools in the Arab and Algerian monetary arena.

.

***Keywords**: Critic; West; Literature.Practices.*

المؤلف المرسل: د. ناصر بعداش: lettrearab@gmail.com

مقدمة:

تعرف الساحة النقدية العربية حديثا دراسات تعتمد في تحليلاتها مناهج وإجراءات غربية مستوردة، وصلت إلى تخوم الأرض العربية عن طريق الترجمة، هذه الأخيرة نجدها قد فتحت بابا لولوج إشكالات نقدية جديدة لم تكن معروفة من ذي قبل، ومن بين هذه الإشكالات قضية المصطلح في حد ذاته مع إشكالية تطبيق المناهج الغربية الحديثة على الإبداعات العربية، حيث تولدت فوضى التعامل معه بين النقاد العرب أنفسهم، وهو ما انجر عنه اختلاف المقابل للمصطلح الواحد بين الفئة العربية الواحدة، فالمشرق العربي يختلف نقاده في وضع المصطلحات عن المغرب العربي من غير توحيد ولا استشارة.

سنحاول من خلال هذا البحث التطرق إلى قضية المصطلح من حيث التعريف والتأثير على نقل النصوص، وإشكالية نقله عن طريق الترجمة واختلاف النقاد العرب في ذلك، لنخلص إلى أهم الحلول التي من شأنها التخفيف من حدة هذه الإشكالية.

المصطلح:

نستهل بحثنا هذا بمقولة مفادها أنه " قد يوجد المفهوم قبل أن يوضع المصطلح الذي يعبر عنه أو يقترض من لغة أخرى"[1]، لذلك كان لزاما قبل الخوض في غمار البحث عن كنه المصطلح الإشارة إلى المفهوم المسبق أولا، فقد تتعد المصطلحات لمفهوم واحد في لغة واحدة، وقد تتعدد حين الانتقال من لغة إلى لغة أخرى مختلفة تماما عن اللغة الأولى، ومن هنا تجدر الإشارة إلى التطرق إلى ماهية المصطلح في التعريفين اللغوي والاصطلاحي.

أ-لغة :

كلمة اشتقت من مادة (ص ل ح) و" صلح يصلح و يصلح صلاحا و صلوحا... والصلح تصالح القوم ..."[2]، وكأن القوم يتفقون على أو يتواضعون على ما يصلح حالهم دون اختلاف، والاصطلاح عبارة" عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، وخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى... وقيل الاصطلاح : "عبارة عن اتفاق قوم على

[1] - علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت، ط2، 2019، ص 11.

[2] - ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ط1،2003، ص 611.

تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول"[3]، وبالنظر إلى تواجد هذا المفهوم، نجد أن العرب قديما قد عرفوا عبارة المصطلح والاصطلاح، وقد حفلت كتبهم بتعداد المصطلحات ووصفها وبيان تعلقها بمجالات معرفية كثيرة، وهنا نستشف أنه لا فرق بين الكلمتين" مصطلح واصطلاح" فالاصطلاح " يقتضي وجود مصطلح على صيغة اسم الفاعل وهو القائم بعملية الاصطلاح عليه، ومصطلح عليه على صيغة اسم المفعول بمعنى المتفق عليه، والمصطلح هنا مصدر ميمي بمعنى ما ينتج عن الاصطلاح"[4].

ب- اصطلاحا

أما في التعريف الاصطلاحي فيعرف المصطلح على "أنه الدراسة العلمية للمفاهيم وللمصطلحات التي تعبر عنها في اللغات الخاصة، وغرض علم المصطلح إنتاج معاجم مختصة، وهدفه وتوفير المصطلحات العلمية والتقنية الدقيقة التي تيسر تبادل المعلومات، وغاياته نشر المعرفة العلمية لإيجاد مجتمع المعرفة القادر على تحقيق التنمية الإنسانية الشاملة"[5] ، ومن هذا المنطلق الذي يعتبر المصطلح علما غرضه إنتاج المعاجم المتخصصة في مجال من المجالات الإنسانية الكثيرة، وفقد يكون "كلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متخصصة علمية أو تقنية ... يوجد موروثا أو مقترضا ويستخدم للتعبير بدقة عن المفاهيم وليدل على أشياء مادية محددة "[6] ،وهو عند عبد القادر الفاسي : " لغة خاصة أو معجم قطاعي يسهم في تشييد بنائه ورواية أهل الاختصاص في قطاع معرفي معين لذلك استغلق فهمه و استعماله على ممن ليس له دراية بالعلم الذي هو أداة لإبلاغه، إلا أن هذه اللغة القطاعية تتصل باللغة العامة المشتركة، ولا تكاد تخرج عن الأصول التي تتحكم فيها، كما أن هذا المعجم القطاعي يصدق عليه كثيرا مما يصدق على المعجم العام من ضوابط صرفية و دلالية وتركيبية وصوتية "[7].

وما يهمنا في هذه الدراسة هو المصطلح النقدي في الدراسات التي تأخذ على عاتقها تحليل النصوص لاستجلاء ما تنطوي عليه من مدلولات متوارية، فـ " المصطلح النقدي رمز لغوي (مفرد أو مركب) أحادي الدلالة، منزاح نسبيا عن دلالته المعجمية الأولى، يعبر عن مفهوم نقدي محدد و واضح، متفق عليه بين أهل الحقل المعرفي، أو يرجى منه ذلك "[8].

إن تنامي الوعي العربي جعل من هذه القضية أساسا ينطلق منه الدارسون، فقضية المصطلح يزداد الإحساس بخطورتها يوما بعد يوم، مما يستدعي العجلة لضبطه وتوحيده لأنه في حقيقة الأمر ومهما تعددت التعاريف، فأنه لفظ مخصوص يؤدي معنى مخصوص شريطة أن يكون واضحا و دقيقا، وخاضع لدائرة الاختصاص، ومهمته زيادة الفهم والوضوح والابتعاد عن كل ما من شأنه عرقلة رحلة الباحث في مشوار استنطاق الدلالة، لذلك نجد علم المصطلح يهتم بهذه القضية المطروقة حديثا بعد انتشار حركة الترجمة،

---

[3] - الشريف علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق محمد على أبو العباس، مكتبة القرآن، القاهرة،2003، ص28.

[4] - صابر الجمعاوي، القضايا المصطلحية في الترجمة الآلية من الانجليزية الى العربية، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، 2003، ص 10.

[5] - علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ص 11.

[6] - محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، مصر، ص 09.

[7] - عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات و اللغة العربية، نماذج تركيبية دلالية، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1986، ص39.

[8] - يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص 24.

ونهوض النقاد به حيث اهتموا بالبحث المصطلحي الذي تطور تبعا لتطور المعرفة وتنامي أطرافها وتخصصاتها، فلا يستطيع أحد أن يلج بحر علم من العلوم إلا إذ تحصل على مفتاح المصطلح، وبالتالي فنشأة هذا العلم ارتبطت بضرورة التطرق إلى موضوع المصطلح معرفيا، هذا العلم لم يتشكل عن طائفة من النقاد الغرب : إلا في نهاية القرن الثامن عشر، لكن مجاله العلمي لم يتحدد بوضوح إلا حديثا، و خلال التأمل من الناحية التاريخية في أسباب نضج هذا العلم وتبلوره يتضح انه جاء بالأساس نتيجة التحول المنهجي الذي طرأ على طرح المسألة المصطلحية انطلاقا من تعويض المفهوم القديم، قائمة المصطلحات، بمفهوم نظام المصطلحات ...."[9]، وإذا ما نظرنا إلى رحلة المصطلح نجده قد وصل إلى العربية كذلك بعدة ترجمات اختلفت باختلاف الناقلين من والى العربية، فنجده تارة بعلم المصطلح، وتارة أخرى المصطلحية ، وعند آخرين علم الاصطلاح، ومرة علم المصطلحات، وكلها وإن اختلفت في اللفظ فإنها غايتها واحدة هي تناول الأسس الخاصة بوضع المصطلحات على أساس " معياري موحد، فإذا كان من الممكن في اللغة إيجاد كلمات متعددة لمفهوم واحد على سبيل الترادف أو التقارب للمفهوم الواحد"[10].

2- إشكالات المصطلح على الساحة النقدية العربية.

إن منطلق البحث يتمثل في المشكلة التي يصطدم بها نقادنا العرب في محاولتهم إعادة صياغة المناهج النقدية الغربية، ومن ثم إدراجها ضمن منظومة النقد العربي، ومحاولة إيجاد الكيفية المثلى في توظيف تقنياتها وإجراءاتها التحليلية على الإبداعات الأدبية العربية، سواء تعلق الأمر بالأدب أم النقد، بدءًا من البحوث التي يقدمها الباحثون، ووصولا إلى ما أصدره النقاد خلال مراحل بحوثهم و تأليفاتهم، وفي كل هذا وذاك تبقى المشكلة عالقة أمام الباحث والناقد العربي في المنظور الذي يحكم علاقتنا بهذا الكم الهائل من الممارسات النقدية والآليات التي أنتجها الغرب، لأجل استنطاق نصوصهم وإبداعاتهم: "فالمشكل الحقيقي ليس في هل نحن مع استلهام النظريات و المناهج الغربية الجديدة أم ضده ... ولكنه يكمن في المنظور الذي يحكم علاقتنا بهذه المستجدات النظرية أو تلك الممارسات "[11].

إن الواقع النقدي العربي يتخبط في مشكلات عديدة تستدعي التأمل العميق، والوقوف عند ماهيته، إنه واقع ليس كالواقع النقدي والمعرفي الغربي، فهو يختلف عليه اختلافا جذريا، مما سمح بظهور مشكلات عديدة واجهت وتواجه المناهج النقدية الغربية، وكل معطياتها و تصوراتها في طريقها نحو منظومة عربية تحكمها مجموعة من الأطر التراثية التي لا يمكن تجاوزها أو إسقاطها من سلسلة البحث، لأن الفروقات شاسعة بين الواقعين العربي والغربي، ويبقى التساؤل حول مشروعية الوعي النقدي والمعرفي الذي يمارس هذه المناهج، أو يحاول توظيفها على الدراسات والإبداعات العربية، ومن بين الإشكالات المصطلحية التي تقف حاجزا أمام النقدين نذكر ما يلي:

*ازدواجية المصطلح في لغة المصدر.

تقف هذه المشكلة سدا أمام المهتمين في مجال علم المصطلح، فنجد المصطلح الواحد له مفهومين اثنين داخل لغة واحدة، فإذا انتقل المفهومين إلى لغة أخرى يحدث التذبذب في عملية النقل، وبالتالي "حتى لو

[9] - محمد طبي، وضع المصطلحات، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1992، ص 37.

[10] - محمود فهمي حجازي، مرجع سابق، ص 34.

[11] - سعيد يقطين، الأدب و المؤسسة و السلطة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط1، 2002، ص 68.

اقتصر العلماء العرب على لغة مصدر واحدة فإن ازدواجية المصطلح في اللغة العربية قد تنجم عنه ازدواجية المصطلح في اللغة المصدر ففي حالة اللغة الانجليزية مثلا قد يستعمل العلماء الأمريكيون مصطلحا غير الذي يستعمله زملائهم البريطانيون للدلالة على المفهوم الواحد"[12] .

الترادف والاشتراك اللفظي في لغة المصدر:

يشكل الترادف والاشتراك اللفظي في لغة المصدر صعوبة أخرى من صعوبات نقل المصطلحات العلمية والتقنية إلى اللغة العربية ففي حالة الترادف قد لا يدرك المترجم أن اللفظين مترادفان أو أن اللفظين المترادفين يترجمان يترجمهما مترجمان مختلفان ومن هنا تحدث الازدواجية في المصطلح العربي، كما إن "الاشتراك اللفظي في لغة المصدر قد يؤدي إلى ترجمة المصطلح الواحد بمقابلين عربيين مختلفين حيث يأخذ كل مترجم بمعنى معين من معاني اللفظ المشترك خاصة إذا لم يكن المترجمون على علم بالمعنى المراد"[13]

المشكلات التنظيمية وتندرج تحت هذا النوع ثلاث مشكلات:

تعدد واضعي المصطلحات في الوطن العربي

إغفال التراث العلمي العربي

عدم اختيار الجمهور للمصطلح الموضوع

تعدد واضعي المصطلحات في الوطن العربي:

بالانقسام الذي حدث في الوطن العربي ظهرت هناك مجامع لغوية مستقلة استقلالا كليا عن نظيراتها في منطقة عربية أخرى وبات لكل دوله لجنه قائمة على الترجمة والتعريب مهمتها وضع المصطلحات النقدية والعلمية وغيرها وليست ، " المجامع اللغوية العربية الجهة الوحيدة التي تضع المصطلحات العلمية والتقنية وإنما توجد كذلك معاهد التعريب ومراكزها التي تأسست في عدد من الأقطار العربية لتعمل على استبدال اللغة العربية باللغة الأجنبية لغة رسميه في الإدارة والتعليم ولكي تقوم هذه المعاهد والمراكز بوظيفتها كان عليها إيجاد مقابلات عربيه كثيرة للمصطلحات الأجنبية المتداولة الاستعمال... فوضعت مقابلات عربية لمصطلحات سبق أن ترجمت او عربت في أنحاء أخرى من الوطن العربي"[14] .

3- مشكلة تطبيق المناهج في الجزائر:

إذا نظرنا إلى الجزائر كعينة من الدول العربية الكثيرة التي تعاني مشكلة توظيف المناهج واستلهامها، نجد النقد فيها –خاصة في السنوات الأخيرة – بقي مكتوف الأيدي، ويشير الناقد بوطاجين إلى أن المنهج الأدبي

[12] - علي القاسمي، علم المصطلح، ص 234

[13] - المرجع نفسه، ص 234.

[14] - المرجع نفسه، ص 235

أصبح مختلفا مقارنة بالسابق، وبالمناطق الأخرى، و أن :" النقد وقف متفرجا ، إما لقصور أدواته الإجرائية،أو لقلة المحترفين ، أو لهذا الإحساس العظيم باللاجدوى في هذه الأوقات العصيبة التي يمر بها البلد"[15]، إن لاختلاف المرجعيات بين العالمين (العربي و الغربي) انعكاسات عديدة على الدرس العربي ، فالنص الجزائري محكوم بقناعات عديدة، فهو انعكاس لمرحلة معينة من المراحل، وفيه إساءة لمفهوم الإبداع، لأن الأدب فوق كل ذلك، وربما : " كانت لهذه القناعات آثار سلبية على النص الجديد الذي التصق بمرجعيات لم يع أبعادها، ولم يسهم في مرجعيتها أصلا, إما لنزعته الإستعجالية ..."[16].

إن العودة إلى التاريخ أمر لا يجب تجاهله ورميه في طي النسيان، فَقِدَمُ الأدب العربي يعني وجود مفكرين ومنظرين كبار عملوا منذ أقدم العصور على التأسيس لهذا الأدب، واكتشاف نظريات تستقصي بواطن النصوص الإبداعية العريقة، وإسهاماتهم في هذا المجال توحي بمدى عمقهم وتعمقهم في الظواهر الأدبية والنقدية، إذ نجد قدامة بن جعفر وعبد القاهر والشريف علي الجرجاني، وأبو هلال العسكري، وابن رشيق وغيرهم :" فكيف يجوز تجاهل هؤلاء ونبذهم لدى تناول النص الأدبي، بدون دراسة النظريات والأفكار التي كانوا يُرَوجُون لها في كفاءة فكرية مثيرة "[17]، وعليه فمن البر العودة إلى الماضي وإلى التاريخ الزاخر بالثقافات العربية الراقية ، لأن كل النظريات النقدية الغربية لم تأتي من اللاشيء ، ولم تخلق من العدم، والمتتبع لحركة الماضي سيجد لها جذورا تمتد أصولها في بعض الأحايين إلى تراثنا العربي القديم، والتاريخ يشهد على ذلك، وإذن : "فمن البر بهذا الأدب أن نبحث في أمر ماضيه، وننبش في النظريات التي قد تكون واكبته، لنحاول تطويرها وتحديثها بناءً على ما جدَّ في سوق العصر من جديد، وبعد ذلك يمكن أن نربط حبل الحاضر بالماضي، وأن لا نطبق نظريات نقدية غريبة على أدبنا، فجاجة، فنقع في إسقاط ساذج لا يليق بالذوق العربي، أي لا يتلاءم مع النص العربي ذي الخصوصية الجمالية والإيقاعية والنحوية"[18].

إذن فمشكلة تطبيق المناهج النقدية المعاصرة تصطدم مع التراث العربي الأصيل الذي حاولت-المناهج الغربية- إزاحته من الوجود، وتضاف إلى هذه المشكلة مشكلة المصطلح الذي ظل لعقود من الزمن رهن البحث، ومحاولة التحديد عبر الاتفاق المشترك، لكنه ظل عقبة في وجه دارسي الأدب والنقاد، وذلك لاختلاف الترجمات من الأجنبية إلى العربية، فلكل ناقد تسمية على الرغم من ثباته عند الغرب، ويرى فتوح أحمد خلال ترجمته لكتاب يوري لوتمان " تحليل النص الشعري " أن كاتبه : "لا يجد ضيرا في أن يضع تحت أقدامنا " لغما" علميا يتمثل في قضية المصطلح –بتعبيره- ربما كانت أهم العقبات التي يصطدم بها كثير من دارسي الأدب "[19].

أما المشكلة الثالثة فهي سوء فهم العلاقة بين المنهج والتفكير المنهجي، وبين المنهج العلمي والروح المنهجية, إنها مفاهيم أساسية تساعد على الانطلاق الفعلي لسبر أغوار الوعي النقدي العربي، ومنه الوصول إلى أبنيته المعرفية وأساسياته المنهجية التي لا يجب أن يفقدها، فهل تجاوز الوعي النقدي العربي الجاهزية، أم إنه استند في تطبيقه للمناهج إلى مبادئ علمية ومعرفية مضبوطة ؟.

---

[15] - السعيد بوطاجين، السرد و وهم المرجع ، منشورات الاختلاف ، ط1، 2005،ص 5.

[16] - المرجع نفسه : ص8.

[17] - عبد المالك مرتاض، دراسة سميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر، ص10.

[18] - المرجع نفسه، ص10.

[19] - يوري لوتمان، تحليل النص الشعري ، تر محمد فتوح احمد ، دار المعارف ، القاهرة ، 1995، ص 5.

إننا في حاجة ماسة إلى الاعتماد على المفاهيم الدقيقة لأجل بناء عمل فكري خلاق ومستقل، ولا شك أن الاشتغال بالمفاهيم يمثل جزء من النسق المحدد لتمثل المفكرين وتصنيفهم، فكل مفهوم في مجال النقد له خلفياته العلمية، ولمعرفتها يجب الرجوع إلى أصولها البيولوجية، مما يمكّن من تحديد أرضية مشتركة بين مفاهيم : "تبدو في ظاهرها متنافرة ، وما هي كذلك "[20].

إن الثقافة الشرقية تفرض الاهتمام بالمنهج النقدي الغربي في رحلة بحثها عن الطريقة المثلى لاستجلاء كوامن النصوص الإبداعية العربية، ومعالجة المشكلات الأدبية أو الإنسانية ، يقول سمير حجازي :"إن الحاجة ماسة في ثقافة الشرق العربي إلى تزايد الاهتمام بالمنهج أو التفكير العلمي الذي يعتبر عنصرا أساسيا في ثقافة الغرب، فالمنهج أو التفكير العلمي في معالجة الظواهر أو القضايا أو المشكلات الأدبية أو الثقافية أو الإنسانية يُعَدُّ من أهم مقاييس نمط الثقافة من حيث درجة تخلفها أو تقدمها"[21]، والاهتمام بالمناهج المعاصرة يعد علما في حد ذاته، وداخل ثقافة الشرق العربي يحتل العلم في عناصر بنائها مساحة ضيقة : "فنحن في حاجة ماسة إلى فهم واستيعاب أسس و خطوات التفكير المنظم الذي تقبله كل العقول، وتتفاعل معه لغويا و فكريا وثقافيا، في مجال الدراسات الأدبية، أو مجال الظواهر الثقافية أو الإنسانية"[22].

إن الدراسة القائمة على أساس البحث في المنهج تحمل إلى المهتمين بترقية الثقافة العربية والنهوض بها، وبأمر المناهج التي شاع استخدامها في الدرس النقدي الغربي والبحث العلمي عند العرب عديد الرسائل التي هي عبارة عن أسئلة في الصميم، فكيف نكتشف طبيعة ثقافة الناقد من خلال منهجه ؟ و كيف يُعَالج البحث عند نقادنا ؟ و كيف نكتشف طبيعة ثقافة الغرب من خلال هذه المناهج ؟ .

إن الفروقات جلية بين الباحثين في هذا المجال :"ومعنى ذلك أن الفرق بين الباحث في حقل الدراسات الأدبية في ثقافة الشرق العربي، وبين نظيره في ثقافة الغرب فرق في طريقة تناول الموضوع و في طريقة التفكير "[23]، وبالتالي يصبح العلم هو نفسه المنهج بدل المادة الأدبية إذ :"لم يركز أحد على المنهج، ولم يدرك الكثيرون أن العلم هو المنهج، وليس المادة الأدبية أو الموضوع الذي يدور حوله البحث أو الدراسة"[24]، ولقد ركز أصحاب الثقافة الشرقية على المناهج تركيزا أضر بالمادة الأدبية العربية، وذلك بتبني هذه المناهج وتطبيقها بحذافيرها، دون مراعاة المفاهيم العربية في هذا المجال، وبالتالي فإن المعرفة المنهجية أو العلمية عند اغلب المثقفين الشرقيين هي واحدة من علوم الغرب، اكتسبت في مؤسسات تعليمية، وإما على شاكلة غربية في بلدانهم العربية: "ومعنى ذلك أن أطرهم الثقافية تعمل في ظل مفاهيم ثقافة الغرب، إلى جانب مفاهيم أخرى تشكلت في ثقافتهم الشرقية العربية "[25].

إن الناقد العربي اليوم بحاجة إلى الموضوعية في الطرح، لأن الاهتمام بمسالة المنهج يتيح له معرفة الأساليب التي من شأنها أن توفر له الموضوعية في تناول الموضوعات الأدبية أو اللغوية أو الثقافية، إنها:

---

[20] - محمد مفتاح، المشروع النقدي المفتوح ، تنسيق عبد اللطيف محفوظ ، جمال بن دحمان ، الدار العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف ، ط1، 2009، ص20.

[21] - سمير سعيد حجازي، إشكالية المهج في النقد العربي المعاصر ، دار طيبة ، القاهرة 2004، ص5.

[22] - المرجع نفسه ، ص6 .

[23] - المرجع نفسه ، ص 11 .

[24] - المرجع نفسه ، ص12 .

[25] - المرجع نفسه ، ص 14 .

"موضوعية ملاحظة الظاهرة الأدبية، وموضوعية النتائج، والموضوعية التي نقصدها هنا هي إضفاء الطابع العلمي على خطوات الباحث عند ملاحظة موضوعه، وعند تحقيق نتاجه "[26].

إن المشكلة لا تزال قائمة ولم تلق حلا منطقيا بمجرد حديثنا عن المنهج والمعلومات المحيطة به، والموضوعية في الطرح: "لأن نقل المفاهيم والقواعد المنهجية الحديثة من مصادر الثقافة الغربية المعاصرة لا يُعد مقياسا للإفادة من المناهج الحديثة، أو مقياسا لتطور أساليب الباحث أو الناقد العربي"[27]، لقد ظل الناقد العربي في طروحاته حبيس الجدة وكل ما استحدث من إجراءات وآليات غربية تطبق على النصوص، وترك المناهج القديمة التراثية، وتمسك بالحديثة المستحدثة، فحدث هناك تحولا شكليا لا كيفيا، وأصبحت أغلب الدراسات الأدبية والنقدية الجديدة تؤكد أن خطوات الباحث: " في معالجة الآثار الأدبية تبدو غامضة ومضطربة نتيجة اعتماده على مبادئ في المعرفة النقدية الحديثة، غير واضحة المعالم في بنائه الذهني أو الثقافي"[28]، وأصبح الاهتمام منصبا فقط على ثقافة الغرب، وبالأخص المنهج بمفهومه العلمي الواسع، دون التفكير في أسسه ومناهجه النظرية التي تحتاج إلى التأمل والمناقشة، بدل النقل المباشر و التطبيق الحرفي .

إن الأساس في البحث أو الدراسة الأدبية أو النقدية عند النقاد الغربيين هو الملاحظة العلمية، ووضع فروض بها يتم تفسير الموضوع الأدبي، "ومحاولة اختبار هذه الفروض على النصوص التي بين الباحث أو الناقد، في حين أن حجر الزاوية في البحث أو الدراسة الأدبية في ثقافة الشرق العربي هو المعلومات وحشد المراجع أو المصادر لها من كل لون أو صنف "[29]، وبقي الباحث العربي لاهثا من أجل تبني وتطبيق مناهج غربية، وقد سلم بصحتها ووثوقيتها، وبقيت مشكلتنا في تعاملنا مع المناهج على أساس إنها أدوات للبحث العلمي، مما يجعل من تلك المناهج موضوعا علميا في حد ذاته، يتطلب بدوره التحليل والفهم، إننا والحال كذلك أصبحنا نتلقى مصطلحات أدبية جديدة دخيلة على الساحة العربية، وقد صنعنا لها هالة قبل أن تظهر على حقيقتها، ولكن بعد التعمق والبحث الجاد تبين ضعفها وعدم جدواها: "فكم من المشتغلين الآن بالأدب يتحدث بمصطلحات أدبية جديدة تولدت في نطاق علوم جديدة في الغرب، ولكن بمجرد ما تم التساؤل عن إطارها النظري، وخلفيتها العلمية حتى تصاب بخيبة أمل"[30].

إن الراهن النقدي العربي مقتصر على استخدام المناهج النقدية الغربية دون غربلة، ودون إخضاعها إلى مراحل البناء العلمي المنطقي، وأصبحنا نسلم تسليما يقترب من الثقة في ما تم اعتماده من فرضيات وبناء التصورات، على غير وعي معرفي ولا روح علمية تعيد ترتيب المسلمات، وبالتالي أصبح تطبيق المناهج النقدية داخل المنظومة العربية بعيدا عن ذلك النظام المعرفي الجماعي، الذي يوصل بين أنماط التفكير وأساليب البحث المستمر، لقد خطى عقل الإنسان وخياله خُطًا واسعة نحو الأمام لغزو النص من أعماقه، وإعادة صياغته من جديد بمفاهيم وأساليب جديدة، وهذا كله استجابة لفلسفة ما بعد الحداثة، ونحن الآن نفرض تلك الأساليب على أدبنا وحضارتنا وثقافتنا، لأجل الاستمساك بالروح العلمية في معالجة البحوث الأدبية

---

[26] - المرجع نفسه ، ص 14 .

[27] - المرجع نفسه ، ص 15 .

[28] - المرجع نفسه ، ص 15 .

[29] - المرجع السابق ، ص 17 .

[30] - سعيد يقطين، مرجع سابق، ص 69.

والنقدية، إنه :"يلزمنا أن ننمي في عقولنا – و نحن نعالج البحث الأدبي أو النقدي – الروح العلمية و أسس العقل الموضوعية، كيلا نغترب باسم مواكبة ثقافة مرحلة ما زلنا لم نعشها بمعنى من المعاني"[31].

4- الترجمة وحل الإشكالات المصطلحية:

إن من بين الوسائل المؤدية لانفتاح الأمم وتطورها، حركة الترجمة، وما تقارب المجتمعات المترامية الأطراف إلا بفضلها، ولعل معرفة الآخر و أفكاره والتواصل معه هو ما دفع بالأفراد إلى تعلم لغات الآخرين ثم إعادة صياغتها باللغة التي تسمح بالتفاهم و الإفهام، والترجمة أحد الوسائل بل وأقواها لوضع المصطلحات الغربية ونقلها إلى العربية أو العكس، ونقل المفاهيم والنظريات التي تعتمد عليها المجتمعات في جميع مناحي الحياة، ولها كبير الدور في ازدهار حركة النقد على الرغم من الصعوبات التي تحيط بها، ذلك: " لان وضع المصطلحات القابلة في الترجمة كثيرا ما يكون في منتهى الصعوبة، وقد يظل المصطلح جامحا إلى حين ترويضه بالوقوف على مفهومه الجديد للتأكد من مدلوله و التمكن من وسائل نقله"[32]، والترجمة في التعريفات الحديثة : " إعطاء الكلمة الأجنبية – وهي في الغالب مصطلح علمي- مقابلها العربي الموضوع من قبل ، فشرط الترجمة أن تكون الكلمة العربية المقابلة مما دخل حيز اللغة سابقا، فإذا وردت على كلمة أجنبية فأوجدت لها من المفردات العربية المحفوظة أو المدونة كلمة تؤدي معناها مباشرة، فعملي هذا هو الترجمة"[33]، وإذا ما تعمقنا في هذه القضية بعض الشرح ، وقمنا ببعض الشرح فإنها ستصبح نوعا من الكتابة من لغة إلى لغة سعيا لنقل بعض المعاني واستعمالها في العرض المراد وضعه، فهي " كتابة في المترجم إليها لنقل المعنى وفقا للغرض المتوخى منها، وهي عملية الانتقال من لغة إلى لغة أخرى، فيما بين ثقافتين لتبيين مراد المترجم عنه للمترجم له الذي لا يفهم اللغة المترجم منها، وكما أن نقل الأفكار بالكتابة لا يستقيم إلا بتمحيصها وإعادة النظر فيها، فإن الترجمة كنقل للأفكار من لغة إلى أخرى، لا تكتمل إلا بمراجعة المترجم له لما ترجمه "[34] .

إن الترجمة إذن محاولة تقريب المفاهيم بين لغتين مختلفتين، واستعمال هذه المصطلحات لأغراض شتى وفي جميع المجالات الإنسانية ، هنا يستطيع الفرد فهم ثقافة غيره والسير قدما نحو ركب الحضارة، فهي إذن فعل حضاري يعكس ذلك التلاقح بين الثقافات على جميع الأصعدة الفكرية للنشاط الإنساني عن طريق اللغة وفق الضوابط المحددة من قبل الطرفين، والتي منها الدقة في نقل المعنى المصاحب للفظ المترجم، و هي مسؤولية كبيرة وأمانة ملقاة على عاتق المترجم، لأن "ترجمة أي منتج ثقافي، سواء كان مصطلحا أو كتابا أو منهجا فكريا أو فلسفة أو قصيدة، بنقله إلى لغة وثقافة أخرى يعني في أبسط صوره الدخول في علاقة مع تلك الثقافة، تلك العلاقة يصفها البعض بأنها "حوار "يقوم فيه المترجم بوظيفة الوسيط المنسق الباحث عما هو اقرب وأدق تحقيقا للتفاهم والفائدة المشتركة"[35].

---

[31] - سمير سعيد حجازي، مرجع سابق ،ص 154.

[32] - محمد الديداوي، الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، لبنان، ط1، 2002، ص52.

[33] - ممدوح محمد خسارة، علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص 24.

[34] - محمد الديداوي، مفاهيم الترجمة، المنظور التعريبي لنقل المعرفة، المركز الثقافي العربي، المغرب ، لبنان، ط1، 2007، ص45.

[35] - سعيد البازعي، استقبال الآخر، الغرب في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب ،ط1، 2005، ص 232.

5- بعض الحلول المساعدة في الحد من الإشكالات العالقة:

وضع سياسة عربية قائمة على مبدأ التوحيد المصطلحي، وتخص كامل الدول العربية سواء في المشرق العربي أو المغرب العربي، ليتسنى توحيد المصطلح على الساحة العربية قاطبة.

ضرورة توحيد اللغة المأخوذ عنها، فمثلا الدول العربية في المغرب العربي الكبير تعتمد اللغة الفرنسية كلغة أساسية في النقل عنها إلى العربية، بينما تعتمد الدول العربية في المشرق العربي اللغة الانجليزية لغة رسمية في عملية نقل وترجمة المصطلحات، ولا تعترف باللغة الفرنسية بتاتا في عملية النقل من والى اللغة العربية.

ضرورة الالتفات إلى الموروث العربي بتراثه الزاخر بالمصطلحات التي تخدم اللغة والعربية ككل.

زرع المصطلح الجديد على الجمهور العربي لنرى مدى قابليته من عدمه، لأن الجمهور العربي فيه طاقات كثيرة من شأنها إعطاء الصواب في هذا المجال.

اعتماد مرجع واحد في الوطن العربي، على غرار الدول الأوربية التي رغم تعدد لغاتها إلا أنها تعتمد مرجعا واحدا.

خاتمة:

وصفوة القول فإنه للتوصل إلى جوهر المشكلة في تطبيق المناهج النقدية على النصوص الإبداعية، والتوصل إلى حل إشكالية المصطلح الذي ظلت عالقة منذ زمن طويل، فإنه يتطلب منا:

*توجيه وعي الناقد من الاهتمام بالظواهر الأدبية كموضوعات للدراسة، إلى الاهتمام بالمنهج النقدي باعتباره موضوعا قبل أن يتشكل ويصبح أداة، لأن موضوع المنهج هو المجال الذي يمكن للباحث أن يتساءل من خلاله عن الرؤية التي يمتلكها حول طبيعة المنهج المستخدم.

حسن التعامل مع المناهج النقدية يحتم علينا بناء تصور ذهني يفرق بين كونها أداة للمعرفة, وبين كونها متضمنة للمعرفة.

*إعادة النظر في الحديث عن التقنية والاستعمال التقني لمراحل المنهج وإجراءاته.

إنه علينا أن نتخطى القراءة السطحية التي لا تتوصل إلى عمق النصوص، وتستنطقها من حيث لا تستنطق، وبالتالي تستنزف طاقتها من حيث لا ندري، فيصادر فكر الناقد ومنظوراته الفنية والعلمية، ويصبح مفهوم التقنية هو المخرج الوحيد الذي يسلكه الباحث للخروج من طوق الممارسة الآلية والأداتية لمراحل المنهج وخطواته، والولوج إلى فضاء الحراك النقدي البناء الذي يوصل في آخر المطاف إلى الإبداع، وإلا لِمَ نسمي النقد بالإبداع الثاني، ما لم تتوفر له الطاقة الإبداعية :"فبأي حق أم بأي حجة يتسلط النقد على النص الأدبي، وينصب نفسه قاضيا عليه مع إنه هو مجرد مظهر آخر من مظاهر الإبداع الأدبي الخالص الأدبية، وإذ لا يستطيع النقد الحق إلا أن يكون مكملا للإبداع ، أي مجرد وجه من وجوهه ..."[36].

[36] - عبد المالك مرتاض، مرجع سابق، ص 14.

*إن الفصل بين المنهج كأداة للمعرفة النقدية، وبينه كوعاء لهذه المعرفة يتيح للوعي إمكانية التفكير أولا في المنهج كموضوع، قبل التفكير و الاشتغال على موضوع الظاهرة الأدبية النصية، فتخِّف حدة مشكلة المنهج النقدي .

قائمة المصادر والمراجع:

1-ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ط1،2003، ص 611.

2- الشريف علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق محمد على أبو العباس، مكتبة القرآن، القاهرة،2003، ص28.

3- السعيد بوطاجين، السرد و وهم المرجع ، منشورات الاختلاف ، ط1، 2005،ص 5.

4- سعيد البازغي، استقبال الآخر، الغرب في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي ، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب ،ط1، 2005، ص 232.

5- سمير سعيد حجازي، إشكالية المهج في النقد العربي المعاصر ، دار طيبة ، القاهرة 2004، ص5.

6- سعيد يقطين، الأدب و المؤسسة و السلطة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط1، 2002، ص 68.

7- صابر الجمعاوي، القضايا المصطلحية في الترجمة الآلية من الانجليزية الى العربية، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، 2003، ص 10.

8-عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات و اللغة العربية، نماذج تركيبية دلالية، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1986، ص39.

9- عبد المالك مرتاض، دراسة سميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر، ص10.

10- علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت، ط2، 2019، ص 11.

11- محمد الديداوي، الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، لبنان، ط1، 2002، ص52.

12- محمد الديداوي، مفاهيم الترجمة، المنظور التعريبي لنقل المعرفة، المركز الثقافي العربي، المغرب ، لبنان، ط1، 2007، ص45.

13- محمد مفتاح، المشروع النقدي المفتوح ، تنسيق عبد اللطيف محفوظ ، جمال بن دحمان ، الدار العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف ، ط1، 2009، ص20.

14- محمد طبي، وضع المصطلحات، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1992، ص 37.

15- محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، مصر، ص 09.

16- ممدوح محمد خسارة، علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص

17- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص 24.

18- يوري لوتمان، تحليل النص الشعري ، تر محمد فتوح احمد ، دار المعارف ، القاهرة ، 1995، ص 5.